مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (2)، (ديسمبر-2024)، ص 297-315
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

خطاب المقاومة الفلسطينية والحرب النفسية-الإعلامية: من لغة المقاومة والكفاح إلى لغة السيطرة والتحكم -قراءة في خطابات أبي عبيدة "الملثم" -

The Discourse of the Palestinian Resistance and the Psychological-Media War; from the Language of Resistance and Struggle to the Language of Domination and Control A reading Of the Speeches Of Abu Ubaidah "The Masked"

صابر شباط [1]*

[1] مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، جامعة الوادي (الجزائر)، chebbat-saber@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2024/02/20 تاريخ القبول:2024/11/04

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء بالنقد والتحليل على عينة من خطابات الناطق الإعلامي باسم كتائب الشهيد عز الدين القسام المعروف بأبي عبيدة، للتعرف على أسباب شهرتها ونفادها في نفسية الجماهير والنخب العربية وتأثيرها في الرأي العام العربي والغربي، وكشف تجليات تحول الخطاب السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية قبل وبعد معركة طوفان الأقصى (07 أكتوبر 2023) من لغة الكفاح والمقاومة إلى لغة التحكم والسيطرة، انطلاقا من المقاربة النقدية الإدراكية لفان دايك ومقاربة البلاغة الجديدة لعماد عبد اللطيف، وقد توصلنا في نتائج دراستنا إلى اعتماد قادة الخطاب على الترسانة اللغوية اللفظية والرمزية للتحكم في رقعة الحرب الإعلامية والنفسية، من خلال توظيف تقنيات رمزية ذات أبعاد تاريخية ودينية على غرار الاسم واللثام، وأساليب لغوية بليغة على غرار الأفعال الكلامية الإنجازية الغير مباشرة، واتباع استراتيجيات متعددة مثل المباغتة الخطابية والتي تأتي كلها ضمن تشكيل سلاح سيكو-إعلامي قوي وكفيل بنقل الخوف إلى الطرف الآخر وبالتالي السيطرة والتحكم وإعادة التموقع في المشهد السوسيو-سياسي.

كلمات مفتاحية: خطاب؛ مقاومة؛ فلسطين؛ الحرب النفسية؛ السيطرة.

Abstract:

This study aims to critically analyze a selection of speeches delivered by Abu Ubaida the spokesperson for the Al-Qassam Brigades, to uncover the reasons behind their widespread resonance with Arab audiences and elites, their influence on public opinion, and the transformation of the political discourse of the Palestinian resistance movement before and after the Al-Aqsa Flood operation. The analysis adopts Teun A. van Dijk's cognitive critical approach and Emad Abdel Latif's new rhetoric framework. The study finds that the leaders of the discourse have relied on a linguistic arsenal—both verbal and symbolic—to dominate the realm of psychological and media warfare. This includes employing symbolic techniques with historical and religious dimensions, as well as adopting eloquent linguistic strategies, such as indirect performative speech acts. Additionally, they have utilized various strategies, such as rhetorical surprise, as part of constructing a potent psychological-media weapon capable of instilling fear in the opposing side.

Keywords: Keywords: Discourse; Resistance; Palestine; Psychological War; Control.

* المؤلف المرسل .

1- مقدمة

لم تكتف فصائل المقاومة الفلسطينية ككيان سياسي، عسكري واجتماعي يتبنى عقيدة الكفاح في سبيل الدفاع عن مقدساته المادية والمعنوية، باستخدام الأسلحة والاستراتيجيات الحربية الدفاعية كأسلوب ونمط وحيد للمقاومة، إذ أن المتتبع للأساليب المتبعة في مواجهة الترسانة الحربية والإيديولوجية الكولونيالية الإسرائيلية، يلاحظ تكثيف هذه الفصائل للأساليب السيكو-إعلامية ذات الأبعاد السياسية والإيديولوجية وفي طليعتها الخطابات والبيانات الصحفية من قبل قادة المقاومة الفلسطينية، والتي زادت حدتها بعد معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023.

وهذا ينم على حجم الإدراك والوعي المتشكل لدى هؤلاء القادة بالأهمية الكبيرة التي تكتسيها الحروب الإعلامية والنفسية، وقدرتها على قلب الموازين وتغيير المعطيات الميدانية ونقل الخوف والهواجس السيكولوجية إلى الطرف الآخر، وهي الحروب التي عززت رحاها مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات التفاعلية، التي كانت بمثابة قنوات إعلامية بديلة ومنابر بديلة لبث وتداول هذه الخطابات بشكل غير مسبوق من كثافة النشر وسرعة الانتشار.

في خضم هذا يبرز الخطاب السياسي الحماسي كوحدة أساسية ضمن منظومة المقاومة والكفاح الإنساني ضد القوى المتسلطة التي تسعى لإخضاعه لسطوتها وسلطتها، ووسيلة من وسائل إدارة المواجهة والحرب النفسية، الرامية إلى التأثير والتحكم في تشكيل صور الواقع في ذهنيات الجماهير وتوجيه مواقفها ومشاعرها نحو الاتجاه المرغوب، مما قد يؤدي إلى قلب موازين المواجهة وإعادة رسم تموقع الجبهات، استنادا إلى مبدأ من يحسن الخطاب يضمن السيطرة، فتتحول الجهة القائمة بالخطاب من مصف المقاومة والكفاح والمصارعة ضد الخضوع إلى مصف السيطرة والتحكم .

من هذا المنطلق وفي ضوء الشهرة الجماهيرية التي حققتها الخطابات التي يلقيها القائد العسكري والناطق باسم كتائب المقامة الفلسطينية المعروف بـ" أبي عبيدة" الملثم، بشكل دوري عبر المنصة الرقمية للمقاومة الفلسطينية، والتي تناقلتها العديد من القنوات الفضائية العربية ومواقع التواصل الاجتماعي والتي أثارت التقنيات والاستراتيجيات الخطابية المتبعة فيها والأساليب اللغوية الموظفة فيها فضول الأكاديميين في المجالات السياسية واللغوية والإعلامية على حد سواء، وجعلت منها مادة خصبة لتحليل ونقد الخطاب، خاصة بعد ما شغل اسم وصورته المخفية خلف اللثام، فضاءات النقاش والتفاعل في المنصات العمومية والافتراضية، وعبأت خطاباته و ما تحويه من تصريحات وتلميحات مساحات كبيرة في أدبيات نقد وتحليل خطاب المقاومة الفلسطينية.

لقد حاولنا في هذه الورقة البحثية، القيام بدراسة تحليلية لخطابات القائد "أبي عبيدة" خلال التطرق لمختلف السياقات والاستراتيجيات الاتصالية التي عززت من قوته وجعلته خطابا مؤثرا ونافذا في الرأي العام العربي والغربي، وعلاقته بإحياء وبعث الشعور الجمعي العربي اتجاه القضية الفلسطينية، وتعاطفه معها، هذا الشعور الذي بدأ يتصاعد ويتضاعف على كافة الأصعدة منبئا بالعديد من التحولات في اللغة الخطابية للمقاومة الفلسطينية التي يتضح جليا أنها بدأت تتحول من لهجة مقاومة السطوة الإسرائيلية على المشهد السوسيو-سياسي والإعلامي إلى السيطرة عليه والتحكم فيه .

وعليه يمكن بلورت إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات التالي:

- كيف ساهمت الأساليب الخطابية للقائد أبي عبيدة في تحويل الخطاب السياسي للفصائل الفلسطينية من موقع المقاومة والكفاح إلى موقع السيطرة والتحكم؟

يحيلنا هذا التساؤل الرئيسي بالضرورة إلى طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي الأساليب البلاغية التي يوظفها القائد أبو عبيدة في خطاباته وما دورها في تقوية الخطاب السياسي؟

- ما هي الاستمالات التي يستخدمها القائد أبو عبيدة لإقناع الجماهير والتأثير فيها؟

- ما هي تجليات تحول الخطاب السياسي للفصائل الفلسطينية من لغة المقاومة إلى لغة السيطرة والتحكم؟

2. أهداف الدراسة:

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أنه من الضرورة الأكاديمية القيام بهذه القراءة النقدية التحليلية التي نسعى من خلالها إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن تلخيصها فيما يلي:

- التعرف أكثر على اللغة الخطابية التي تعتمدها المقاومة الفلسطينية من أجل التأثير في الرأي العام العربي والغربي، وبالتالي التحول من موقف المقاومة والكفاح إلى موقف السيطرة والتحكم.

- التعرف على مختلف الأبعاد السياسية والإيديولوجية المتضَمَّنة في خطاب المقاومة الفلسطينية.

- رصد العلاقة الموجودة بين أساليب وأبعاد خطابات أبي عبيدة وبين قوة التفاعل الجماهيري والنخبوي معه في مواقع التواصل الاجتماعي.

3.منهج الدراسة وأدوات البحث:

نظرا لطبيعة الدراسة وسمتها الكيفية، وجدنا أنه من الأنسب الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي كونه الأصلح لدراسة هكذا موضوع أو ظاهرة اتصالية ذات أبعاد سياسية وإيديولوجية، تستدعي من الباحث تشخيصها والوقوف على سياقاتها والظروف المحيطة بها، دون التدخل المباشر

فيها بالتعديل في جوهرها أو الحذف أو الإضافة في متغيراتها، بل يكتفي بتقديم قراءات تحليلية نقدية تتعمّق في تفسيرها تفسيرا "كيفيا" يستد إلى الحقائق الحاضرة المتصلة بها.

ولأننا نسعى إلى معرفة التحولات التي طرأت على لغة خطاب المقاومة الفلسطينية قبل وبعد معركة طوفان الأقصى فقد وجدنا أنه من الضروري اعتماد المنهج المقارن للتعرف على تطورات واختلافات اللغة الخطابية باختلاف الفترات والظروف الزمنية والسوسيو-سياسية.

أما فيما يتعلق بأدوات البحث فقد اعتمدنا على:

1.3. الملاحظة العلمية المنظمة من خلال التأمل والقراءة المتأنية والناقدة لعينة من الخطابات المشكلة لعينة الدراسة، والتي ساعدت الباحث في رصد وجمع مجموعة من المعلومات التي يمكن قياسها وبناء الأحكام العلمية بشأنها.

2.3. تحليل الخطاب انطلاقا من:

أ- **المقاربة الإدراكية النقدية** للباحث الهولندي فان دايك، رائد منهج تحليل الخطاب الاجتماعي الإدراكي، والتي تستند على الربط بين بنيتين هما بنية الخطاب السياسي من ناحية وبنية السياق السياسي للخطاب، وتتركز عملية الربط هذه بين النص السياسي وبين توزيع القوة السلطة في السياق المجتمعي، فهي تقوم على تحليل الأيديولوجية والخطاب السياسي والخطاب الإعلامي من خلال البحث عن صلة الوصل بين بنية القواعد النحوية وبنية المفردات والجمل والسردية (كما تعكسها النظرية البنائية الاجتماعية) من ناحية والإدراك من ناحية ثانية في دراسة النص، بالإضافة إلى استخدام مناهج تحليل الخطاب، ولعل ذلك أسبغ على منهج فان ديك الطابع التكاملي لمنهجه، إذ أولى عنايته للتكوينات الخطابية الإعلامية مع الأخذ في الاعتبار كل المستويات والأبعاد الكلية والجزئية داخل النص، بدءا من المفردات وبنية الجملة والأدوات البلاغية ودلالات الألفاظ والمضمون القيمي للمعلومات التي يسوقها الخطاب، بالإضافة لعنايته بالفكرة المحورية، وبالتنظيم العام للنص، والبنية التخطيطية للنص، والبنية الفرعية (عبد الحي ، 2013، صفحة 06).

- مقاربة **"البلاغة الجديدة"** التي تعود في تأسيسها إلى الباحث المصري عماد عبد اللطيف، ضمن مشروعه النظري في حقل الدراسات البلاغية العربية سنة 2005، والذي أطلق عليه مشروع "بلاغة الجمهور" والذي أشار فيه إلى أن مقاربته الجديدة ولِدَت من رحم الدهشة والتساؤل، عن علّة تأثر الجمهور بالعبارات والأقوال وكيف يمكن لهذه الاخيرة أن تكون وسيلة للسيطرة على استجابات الجماهير والتحكم فيها، فهي رؤية جديدة تُقدِّم مسارًا مضادًا للبلاغة السائدة، وعلم جديد يخدم المخاطَبين/الجمهور، يمكِّنهم من التمييز بين خطابات تلاعبية تسلطية وأخرى تحررية (عبد اللطيف ، بلاغة الجمهور .. قصة النشأة، 2022).

وتمثل السيطرة والقهر أو التسلط وحدة تحليل رئيسية في مقاربة البلاغة الجديدة، فهي منطلقا رئيسيا لميلاد الخطاب البليغ الذي ينبغي أن يكون خطابا غير سلطوي، وإنما خطابا قادرا على مكافحة ومواجهة الخطاب المتسلط السائد عن طريق تقديم لغة مقاومة أكثر قوة وأكثر توظيفا للأساليب البلاغية، من أجل استعادة التوازن ونقل وتبادل السيطرة والتحكم بين الجبهات المتواجهة (حمدي ، 2022، صفحة 255).

وعليه يرى ع. عبد اللطيف أن البلاغة ظلت السياسية محط اهتمام التحليل النقدي للخطاب على اختلاف مفاهيمها، فحين تشير "البلاغة السياسية" إلى العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تحقق الإقناع والتأثير في سياقات التواصل السياسي مثل الخطب والبيانات والدعاية والمفاوضات السياسية والصور يصبح المحلل الناقد معنيا بتحليل عمليات إنتاج هذا الكلام وتوزيعه وتداوله بوصفه نصا أو ممارسة اجتماعية أو ممارسة خطابية (عبد اللطيف، 2020، صفحة 17).

4. مجتمع وعينة الدراسة:

يتشكل مجتمع دراستنا من كافة خطابات الملثم "أبو عبيدة" القائد العسكري الشهير والناطق الإعلامي باسم كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية (حماس) ويوجهها لجماهير الأمة العربية والإسلامية عبر المنصة الإعلامية الرقمية للمقاومة، والتي يتم بثها بشكل حصري ودوري عبر قناة الجزيرة الإخبارية لتعرف بعدها انتشارا وتداولا واسعا عبر مختلف القنوات والمنصات الافتراضية لمختلف مواقع التواصل الاجتماعي على غرار يوتيوب، فيسبوك وانستغرام، والتي بدأ في إلقائها منذ أن ذاع صيته عام 2006، بعد نجاح المقاومة الفلسطينية في أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط (عزت ، 2023).

ونظرا لاتساع مجتمع البحث وكثافة هذه الخطابات فقد لجأنا إلى معاينة قصدية وفق ما تقتضيه أهداف الدراسة، اين توقفنا على مراجعة عشر (10) خطابات، أربعة (04) منها ألقاها أبو عبيدة قبل معركة طوفان الأقصى عبر فترات زمنية مختلفة، وستة (06) ألقيت بعد الطوفان عبر فترات زمنية مختلفة، استرجعها الباحث جميعا من موقع يوتيوب، وهي موضحة في الجدول التالي:

قبل معركة طوفان الأقصى (07 أكتوبر 2024)			
الخطاب	**تاريخ البث**	**قناة البث**	**فحوى الخطاب**
01	2017-01-31	قناة الجزيرة	التوعد بالرد على العدوان وتصعيد حدة المقاومة والانتقام لدم الشهيد الزواري
02	2017-05-02	قناة الجزيرة	الدعوة إلى كسر القيود والالتفاف حول المقاومة الفلسطينية والنفير في يوم الغضب لتحرير الأسرى

03	2018-03-18	قناة الجزيرة	جاهزية المقاومة للدفاع عن مقدسات الأمة العربية والإسلامية
04	2021-05-13	قناة الجزيرة	المقاومة في جعبتها المزيد من القوة والصمود للدفاع عن القدس والأقصى
05	2021-05-27	التلفزيون العربي	تكريم شهداء العدوان الإسرائيلي على شمال قطاع غزة.
بعد معركة طوفان الأقصى (07 أكتوبر 2024)			
06	2023-10-09	قناة الأقصى	هزيمة العدو الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى والإعلان عن تدمير فرقة غزة، ووقوع المئات من جنودها ما بين قتيل وأسير.
07	2023-10-17	قناة الجزيرة	سنحاسبكم بقسوة يا حثالة الأمم...
08	2024-10-28	قناة الأقصى	زمن انكسار الصهيونية قد بدأ... ولعنة القرن الثامن ستحل عليكم...والنصر أت بإذن الله.
10	2023-10-29	قناة الجزيرة	سنذيق العدو هزيمة أكبر مما كان يتخوف...العدد الكبير من أسرى العدو لدى الكتائب ثمنه تبييض كافة السجون من كافة الأسرى الفلسطينيين وعليه أن يدفع الأثمان التي يعرفها

5. مفاهيم الدراسة:

1.5. الخطاب The Speech

يعد موضوع الخطاب من أكثر المواضيع التي نالت اهتمام المفكرين على مر العصور، في العالمين العربي والغربي، وأخذت قسطا كبيرا من التراث الفكري الذي شكلته الأبحاث والنظريات الحديثة وعني بدراسات مستفيضةمنذ القدم، وبرز الإهتمام به في مجالات متعددة كالبلاغة (الخطاب البلاغي)، والنقد الأدبي (الخطاب النقدي)، والسيمياء واللسانيات (الخطاب اللساني، الخطاب السيميائي) وكذلك في السياسية (الخطاب السياسي) والإعلام (الخطاب الإعلامي، الخطاب الإشهاري) وغيرها (بوقرة و جغبوب ، 2017، صفحة 156).

ومن معاني الخطاب أو المخاطبة في معاجم اللغة العربية، المحادثة الحوارية وكل ما يكلّم به الرجل صاحبه، ومن ذلك قوله تعالى في الآية 63 من سورة الفرقان: "...**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**"، وكذلك يؤدي معنى التواصل اللغوي وما يحويه من بيان وفصاحة وبلاغة وحِكم (البستاني ، 1986، صفحة 169)، ومن ذلك قوله تعالى في الآية رقم 20 من سورة ص: "وَشَدَدْنا

مُلْكهُ وءَاتَيْناهُ الحِكْمةَ وفَصْلَ الخِطَابِ" أي بمعنى البيان الشافي في كل قصد كما ورد في تفسير الجلالين (المحلي و السيوطي ، 2010).

ويعرفه الدكتور محمد شومان بأنه طريقةمعينة للتحدث عن الواقع وفهمه، كما أنه مجموعة من النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها واستقبالها بما يؤدي إلى إنشاء وفهم الواقع الاجتماعي، أي أن الخطاب يشمل كل الأشياء التي تكون الواقع الاجتماعي بما في ذلك هويتنا، وعليه فإن الخطاب هو واقعنا الاجتماعي وإدراكنا لهويتنا وبالتالي لا وجود للواقع الاجتماعي دون وجود الخطاب ولا فهم لهذا الواقع ولتجاربنا دون فهم الخطاب (مشاقبة ، 2014، صفحة 101) .

أما من وجهة نظر التراث اللغوي والفكري الغربي، فقد اصطلح على مفهوم الخطاب في اللغة الفرنسية تسمية Discours وهي ترجع إلى الأصل اللاتيني Discursus (Discourir) الذي يحمل دلالة التحرك ذهابا وإيابا وهو المعنى الذي يستعمله الفلاسفة للتعبير عن الحوار وتبادل الأفكار، كذلك تعبر كلمة الخطاب عن الجدل والعقل أو النظام، وقد استعمله هابرماس للدلالة على التواصل اللغوي المبني على الحجج أو التعليل (الزعبي ، 2013).

ويعرفه ميشال فوكو بأنه ميدان رحب يتكون من مجموعة من المنطوقات، قد تكون ملفوظة أو مكتوبة، محصورة في ذات التشكيلة الخطابية، ويمكننا الوقوف على زمان ومكان ظهورها، كما نستطيع تحديد شروط وجودها (Wedl, 2007, p. 36).

وبتعدد تعاريف الخطاب وتشعب مدلولاته، نلمس وجود إجماع على أن الخطاب هو مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، وهو منهج في البحث في المواد المشكلة من عناصر متميزة ومترابطة سواء كانت لغة أم شيئا شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، أو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المتلقي، أو هو نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما، يهدف الخطاب إلى وصف التعابير اللغوية بشكل صريح، بالإضافة وتفكيك شفرة النص الخطابي عن طريق التعرف على ما يحتويه النص من تضمينات وافتراضات فكريّة، أو معرفة الرسائل المُضمّنة في النص الخطابي ومعرفة مقاصده وأهدافه، التي يتم استخلاصها واستنباطها عن طريق تحليل الخطاب والتفكير بشكلٍ منطقيّ حسب الظروف التي نشأ وكتب فيها النص الخطابي وهو ما يسمى بتحليل السياق الذي يعتمد عليه النص (سنجق ، 2021).

2.5. الخطاب السياسي الجماهيري بين لغة المقاومة ولغة السيطرة

لعل ابرز ما يميز الخطاب السياسي عن بقية الخطابات هو ارتباطه الوثيق بالسياسة التي لا يمكن أن توجد أو تكون بمعزل عن غايتين أساسيتين إما تحقيق أو تعزيز السيطرة والتحكم في

الجماهير وإما معارضة ومقاومة السيطرة القائمة وإعادة الموازنة إلى الساحة السوسيو-سياسية، ومن تم نقل السيطرة إلى الطرف الثاني.

والخطاب السياسي الجماهيري هو خطاب إقناعي، حجاجي موجه للتأثير والتحكم في اتجاهات ومواقف الجمهور وتكريس السيطرة على زمام الأمور، يتخذ من اللغة والسياسة فضاء له، أو كما يعرفه فليب بروتون(Breton. P)؛ هو نشاط إنساني يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة ووسائل متنوعة يهدف إلى إقناع الجماهير بتبني موقف أو المشاركة في رأي ما (بوبكري ، 2013، صفحة 168).

وفي علاقة اللغة بالمقاومة والسيطرة في الخطاب السياسي كما في جل الخطابات، يشير الفيلسوف والناقد الدلالي الفرنسي الشهير رولان بارث Roland Barthes (1915-1980) إلى أن أي نشاط لغوي يقوم به الإنسان لا يمكن أن يخلو من سلطة ما، فهذه الأخيرة تبقى قوة قائمة وكامنة في كل خطاب نقوم به (بارث ، 1993، صفحة 11)، وكل سلطة لابد وأن تسعى وتطمح للتحكم والسيطرة، أو تعززيها وتثبيتها إن كانت مسيطرة أصلا، وهي غاية مبررة عقلانيا يشترك فيها الخطاب مع اللغة، وإذا لم تكن هناك سلطة في لغة الخطاب تسعى للسيطرة فإنه يوجد بالضرورة خضوع، وعلى حد تعبير "بارث" دائما، لابد وأن تتقابل في اللغة الخطابية ثنائية السلطة والخضوع، فهما يمتزجان بلا هوادة، وبالتالي لا مكان للحرية والهروب من هذه الثنائية إلا خارج اللغة، وخارج اللغة يعني المستحيل وهذا ما لا يمكن تصوره فاللغة الإنسانية لا خارج لها (بارث ، 1993، صفحة 14).

هذا الطرح يتماشى تماما مع ما ذهب إليه فان ديك وروث وآخرون حينما أكدوا أن ممارسة القوة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد تعتمد على الإكراه بالدرجة الأولى بل على الإقناع الذي بات أحد العناصر الحاسمة للوصول بالخطاب لمختلف الفئات الاجتماعية لهذا التحليل للعلاقات، ولا شك أن الاتفاق على فكرة الهيمنة عبر الإقناع وتحقيق إجماع وتعدد شكلي داخل المجتمع، أو ما يعرف بالهيمنة الناعمة، هو ما دفع مدارس التحليل النقدي للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامي، الذي يعكس عملية الصراع والهيمنة عبر الإقناع وتزييف وعي الجماهير (الزبيدي ، 2017).إن هذا الطرح يحيلنا إلى القول أن أي إرادة لتجريد اللغة والخطاب من الأبعاد الغير والغايات المعلنة والغير معلنة والتي من بينها تحقيق السلطة ومن تم السيطرة هي في واقع الأمر دعوة إلى تجريد هاتين الظاهرتين الإنسانيتين من إمكانية الوجود والكينونة، وهذا لا يعقل ولا يمكن أن يكون أبدا.

لو حاولنا أن نعقب على رولان بارث وزملائه وثنائية "السلطة والخضوع" فإن أول ما يمكن أن نقوله قبل أن نحاول التطرق للسيطرة التي تكرسها البلاغة اللغوية في خطاب أبي عبيدة، هو أن بارث تناول هذا البعد في اللغة والخطاب من مبدأ تطرفي تمثله السلطة في أقصى اليمين

والخضوع في أقصى اليسار، بينما أهمل جانب ثالث في المعادلة وهو " المقاومة"، والتي عادة ما تكون ملازمة للسلطة مكان الخضوع، وقد أشار الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984) إلى ذلك في كتابه الشهير "همّ الحقيقة" إلى أنه حيثما توجد السلطة الرامية إلى تحقيق السيطرة، توجد بالضرورة مقاومة (فوكو ، 2006، صفحة 58) تسعى إلى استعادة زمام الأمور وإحداث الموازنة ثم قلب الأمور وتحقيق السيطرة متى ما تسنى لها ذلك، وعليه فإن تحقيق السيطرة هي المتغير المستقل في المعادلة.

6. نتائج الدراسة:

من خلال قراءتنا التحليلية في خطابات أبي عبيدة قبل وبعد معركة طوفان الأقصى (07 أكتوبر 2023)، تمكنا من حصر مجموعة من الأساليب والاستراتيجيات الخطابية التي أعطت لهذه الخطابات شعبية وشهرة عالمية وجعلت من القائد أبي عبيدة من أكثر الشخصيات تأثيرا في الجماهير العربية والإسلامية وحتى الغربية والتي جعلته أيقونة ثورية، وبطلا ملهما للشعوب المضطهدة ومحورا للنقاشات والتفاعلات في العديد من الفضاءات العمومية والافتراضية حيث سجلنا مشاهدة وتداول وتشارك الفيديوهات التي يظهر فيها أبو عبيدة بمئات الملايين في كل من يوتيوب، فيسبوك، منصة X، تلغرام، تيك توك، انستغرام وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي.

وتمثلت هذه الأساليب بالدرجة الأولى في قوة توظيف الأساليب اللغوية، الفصاحة السياسية واللغوية، قوة الشخصية والحضور والارتجال، رمزية الاسم واللباس، توظيف الأبعاد الدينية والتاريخية في الخطاب، استمالات التخويف والتهديد وغيرها

1.6. قوة الرمزية تزيد من القوة الإقناعية للخطاب وتأثيره سيطرته: وتتجلى في:

أ. الرمزية التاريخية والدينية للأسماء والشعارات:

أبو عبيدة هي الكنية التي يحملها هذا القائد ويشتهر بها، وهي ليست اعتباطية وإنما تحمل دلالات تاريخية ودينية قوية، فهو قد اتخذها تيمنا بالصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح، أحد أبطال معركة بدر الكبرى (02 هجرية) وقائد جيش المسلمين الذي الديار الشامية وبيت المقدس عام (16) للهجرة الموفق لـ (637) ميلادية (شراب ، 1997، صفحة 200).

وقد عرف أبو عبيدة الفلسطيني وذاع صيته في الشارع العربي لأول مرة في عام 2006، حين أعلن عن نجاح المقاومة في تنفيذ عملية "الوهم المُتبدّد"، التي أدت إلى قتل جنديين من جيش الاحتلال، وجرح اثنين، وأسر الجندي جلعاد شاليط، وبعد عملية طوفان الأقصى تعاظمت شهرة وحاز اسمه على شعبية جماهيرية كبيرة في زمن اليأس العربي والملل من الخطابات السياسية المستهلكة، الروتينية والنمطية ومن مشاهد الإحباط والتفاهة التي تتصدر المشهد الإعلامي والفضاءات العامة المادية والافتراضية على حد سواء.

وتتجلى قوة هذه الرمزية في إعادة إحياء وبعث تاريخ العرب والمسلمين المليء بالبطولات والتضحيات الجهادية في سبيل تحرير البلاد العربية والدفاع عن مقدسات الأمة، في نفوس الجماهير والنخب العربية والإسلامية التي تتمثل بطولة وشجاعة الصحابي أبو عبيدة بن الجراح فاتح بيت المقدس في اسم القائد "أبو عبيدة" الفلسطيني المدافع عن بيت المقدس.

هذا ولا تقل القيمة الرمزية للبذلة العسكرية والشعارات التي يرتديها "أبو عبيدة" في كل خطاباته وظهوره الإعلامية عن رمزية الاسم، فهو بذلك يعطي دلالة على التنظيم العسكري والحيوي للمقاومة الفلسطينية، وهو استعراض لهوية المقاومة ومقوماتها وأهدافها، كما أن ارتداء البدلة العسكرية في الخطابات السياسية له بعد تاريخي مهم وارتباط وثيق بالشخصيات الثورية والمقاومة في العالم على غرار الثائر الشهير "تش غيفارا" الذي كان يظهر في خطاباته الجماهيرية ببذلته العسكرية الشهيرة.

فيما توحي عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وصورة المسجد الاقصى خلف سيفين عربيين وعبارة فلسطين باللغة العربية، التي يضعها أبو عبيدة فوق جبينه في كل خطاباته بالهوية العربية والإسلامية لحركة المقاومة وبعدها الجهادي ومهامها في سبيل الدفاع عن مقدسات الأمة، أما العلم الفلسطيني الذي يزين البذلة على كتفه الأيسر فيوحي بالتشبث بوطنية الحركة وتشبثها بالأرض والهوية العربية.

وقد عجّت مواقع التواصل الاجتماعي باسمه الذي باتت محور العديد من التفاعلات الافتراضية، فعلى سبيل الذكر لا الحصر أنشأت الجماهير العربية العديد من الصفحات والمجموعات التفاعلية على موقع فيسبوك تحمل كنيته، وتتناقل أخباره وخطاباته، على غرار مجموعة "محبي أبو عبيدة في الوطن العربي" التي تضم أكثر 308 آلاف عضوا نشطا، ومجموعة "أبو عبيدة مرعب الصهاينة" التي تضم أكثر من 400 ألف عضوا نشطا، إضافة إلى مجموعة " قالها أبو عبيدة إنما هو جهاد نصر أو استشهاد" التي تضم أكثر من 316 ألف عضو، ويظهر الحجم الكبير والمتصاعد للثناء والإشادة التي يلقاها أبو عبيدة في مختلف المنشورات والمحتويات، قوة تأثيره في الجماهير العربية التي راحت في المقابل تصفه بالمؤثر الحقيقي وصانع الواقع.

ب. تقنية إخفاء الوجه ورمزية اللثام...علاقة اللثام بالقوة الحقيقية المخفية تحت الأنفاق:

يوصف أبو عبيدة جماهيريا بـ "الملثم"، بسبب الكوفية الحمراء التي يغطي بها ملامح وجهه في كل طلعاته الإعلامية وخطبه الدورية، وهي الصورة التي شغلت الكثير من منصات التحليل الإعلامي، كون ملامح من السمات الأساسية والتقاليد الخطابية التي ينبغي أن تتوفر لدى الخطيب، تجاوزها أبو عبيدة، وكأنه يريد إشغال الرأي العام بغير منطوق الخطاب وفحواه، وهو ما زاد من تأثير الخطاب وجعل الجماهير تتلهف لسماعه أكثر من تلهفها لرؤيته، إضافة إلى أثر هذا التخفي

في نفسية العدو الذي وضعه على قائمة الاستهداف والاغتيال وانشغل به لتحديد هويته، وهو ما فشل عنه منذ عام 2006.

ولطالما ارتبط اللثام بالغموض والتساؤل وزرع الخوف والريبة والشك في نفسية الآخر، وإشغاله بالسعي لمعرفة المجهول بدل الانشغال بمواجهة المعلوم، كما أنه ارتبط بكثير من الفدائيين والأبطال التاريخيين وهو ليس حكرا على القائد " أبي عبيدة" بل هو سمة عامة من سمات المقاومة الفلسطينية، التي تظل قدراتها العسكرية مخفية ومجهولة للجميع. فهي مخفية في الأنفاق تحت الأرض وملامح رجالاتها مخفية تحت اللثام، فالابتعاد عن الأضواء والتخفي هي سمة المقاوم الفلسطيني المقاوم في شكله الراهن.

وعن دور هذه الاستراتيجية يقول الباحث الإعلامي سليمان بشارات ، أن قراءة شخصية أبو عبيدة تمكننا من قراءة المواطن الفلسطيني...إذ يمكن الحديث عن عدة محددات أهمها؛ شخصية الإنسان الملثم، التي ارتبطت بالمقاوم الفلسطيني منذ الانتفاضة الأولى في التي اندلعت في العام 1989 حيث كان وجود المقاوم الملثم مسيطرا على الساحة ومبهرا في مقاومة المحتل بالحجارة، وبالتالي هذه الشخصية ذات رمزية وطنية لدى نفسية الإنسان الفلسطيني وتمنحه نوعا من القوة والغموض في ذات الوقت، وهي تمثل رسالة تحدٍ وخوف للمحتل في المقابل" (أبو سمرة ، 2024)

2.6 . استراتيجية المباغتة الخطابية تضاعف من قوة التأثير:

يدخل الخطاب في وقت الحرب ضمن استراتيجيات الدفاع أو الهجوم، وتنم قوته التأثيرية عن التوفيق والذكاء في اختيار الأسلحة المعنوية للمواجهة أو المهاجمة، وفي هذا الصدد يقول أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب عماد عبد اللطيف: " تُخاض الحرب بوسائل مختلفة...منها الخطاب» (عبد البصير، 2024).

وعليه فإن كل استراتيجية متبعة في هكذا خطاب، هي بالضرورة من استراتيجيات وأسلحة الحرب، وإذا ما تحققت لهذه الاستراتيجية ظروف وسياقات معينة يمكنها أن تحقق وتنجز مالا تنجزه المواجهة الميدانية المباشرة مع العدو، بل وقد تغني عنها، وترجح الكفة وتقلب الموازين.

ومن بين هذه الاستراتيجيات الخطابية، استراتيجية المباغتة من خلال الظهور والاختفاء عن الظهور في الوقت الغير متوقع، وبحسب الباحث عبد اللطيف، تستند هذه الاستراتيجية على تباين المسافة بين كل خطاب وآخر لأبي عبيدة، فللوهلة الأولى يبدو أن هناك تفاوتًا في المسافة بين الخطابات، فكانت أقصر مدة تعادل يومين، وفي المقابل اتسعت المدة بين الخطاب الثاني عشر والثالث منذ طوفان الأقصى عشر إلى 17 يومًا، ويرى الباحث أن ذلك التفاوت أيضًا يُعد أحد أسلحة أبو عبيدة المقصودة، والتي أضفت على خطاباته أهمية وثقلًا، حيث كان «أبو عبيدة» دائمًا ما يخالف توقعات الظهور، وكان يخرج بخطاب جديد بعد ترقب، وهو ما كان له دور في زيادة

حماس الشعب الفلسطيني، وإضعاف الجبهة الإسرائيلية، عبر صناعة فخاخ للعدو، من خلال ترك مساحة لإطلاق شائعات إصابته وقتله، ودحضها فيما بعد، وهو ما يقوى موقفه أثناء تفنيد الأكاذيب الأخرى (عز و صلاح الدين ، 2024) .

وقد بلغ صداها ومداها الرأي العام الإسرائيلي، ونفذت عميقا في نفسية الجماهير هناك، فباتت هذه الأخيرة تنتظر خطابات أبو عبيدة أكثر من خطابات قادتها الحربيين التي اتسمت بالنمطية واكتفت بإعادة سرد ما هو مستهلك.

لقد تمكن أبو عبيدة من خلال هذه الاستراتيجية الخطابية من كسب الحرب النفسية والتفوق على الترسانة الإعلامية الإسرائيلية، من خلال نجاحه في زعزعة ثقة الرأي العام الإسرائيلي بحكومته، وتغيير وتوجيه المواقف والسيطرة على عواطف ومعنويات الجماهير، ومن خلال المباغتة في الظهور والاختفاء يثير أبو عبيدة نوعا من التلهف والانتظار لدى الرأي العام الإسرائيلي الذي يترقب المستجدات، وهنا نجد أننا أمام خطاب مسيطر استطاع أن يتحكم إلى أبعد الحدود في تشكيل وصياغة الواقع للإسرائيليين أكثر من الخطاب الإعلامي والسياسي الإسرائيلي ذاته.

3.6- توظيف البلاغة الجديدة وأفعال الكلام يعزز من سيطرة اللغة الخطابية:

لطالما ارتبطت قدرة الخطاب على السيطرة والتحكم بالمقدرة على الإقناع والمحاججة وهذا ما لا يمكن أن يتأتّى مالم توجد هناك بلاغة في لغة الخطاب، وعليه فقد اتجهت مختلف المناهج النقدية الحديثة إلى إعادة قراءة هذه البلاغة في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة ومتطلبات آليات تحليل الخطاب، فمنذ ستينيات القرن الماضي بدأت البلاغة الخطابية تأخذ رؤى وقراءات مغايرة، باعتبارها الإمبراطورية التي هيمنت على جميع أنواع الخطاب ومختلف الحقول المعرفة النقدية والأدبية والاجتماعية والقانونية، وهذا ما جعل **مازاليغا وجورج موليني** يربطانها بفن الإقناع في مكوناته وتقنياته لاستنباط الحجج ومعالجتها (القاسمي ، 2018، صفحة 100)، فتذهب بذلك البلاغة الجديدة إلى التوافق مع "نظرية الحجاج" التي تشمل كل حقول المعرفة التي تبرز على شكل خطابات تظهر من خلالها أساليب الحث والإقناع، فارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا، حيث تستعمل تقنيات هذه الأخيرة في عملية الإفهام والإقناع وهناك من يرى بأن البلاغة هي فن الكلام، وليس فن اللغة؛ ويربطها بالكلام والبعد الإنجازي التداولي. وهذا يعني أن البلاغة الجديدة شقيقة الحجاج البلاغي مادام كلاهما قائما على الكلام والإنجاز والأداء وأفعال الكلام" وإذا كانت أفعال الكلام الوجيهة ترتبط رأسا بضبط العلاقة بين المتكلم وبين دلالة الخطاب أو ما يرمي إليه ،فإن الأفعال الإنجازية تنهض من جهتها بإقامة العلاقة بين المتلقي والمتكلم (علا، 2021، الصفحات 301-302).

فالأفعال الكلامية غير المباشرة تكون ضمنية وخفية، تكمن داخل بنية الخطاب على شكل قوة إنجازية، تسعى إلى إقحام عالم المتلقي في الخطاب وإقحام فحوى الخطاب في عالم وانشغالات المتلقي، وإرغام هذا الأخير على إمعان عقله، وإثارة اهتمامه بهذا الخطاب لفهم من يخفيه من أسرار وما يضمره من معاني وأبعاد، وهو ما يجعل الفعل الكلامي يتجاوز منطق التفسير إلى التأويل المفتوح على تعدد الاحتمالات والقراءات؛ لأن ما يكون خفيا على مستوى الخطاب يكون دوما أبلغ مما يكون صريحا ومعلنا، فهذا الأخير يمنح للمتلقي جاهزا مما يجعله متكاسلا عن إمعان عقله وتحريك تفكيره (بن عياد ، 2020، صفحة 833).

ولا تفهم المعاني الغير مباشرة ضمن منطوق الكلام وإنما ضمن مفهومه وشرحه السياقي، أو ما يعرف في علوم اللغة بالسياق اللغوي، وهو باختصار ورود معنى مصطلح أو تعابير معينة ضمن سياق آخر أي في غير منطوقها.

ومن الأفعال الإنجازية في خطابات أبي عبيدة التي قمنا بتحليلها قوله: " إننا نخوض معركة تحرير الأقصى..." فهي دعوة ضمنية للشعوب العربية والمسلمة إلى التحرك والنفير من أجل دعم المقامة الفلسطينية لأن المعركة التي تخوضها هي حرب دينية وجهاد في سبيل تحرير المسجد الأقصى وتذكير بأن هذا الواجب يقع على عاتق جميع المسلمين في العالم.

4.6. مهارة الارتجال ومهارة توظيف الأسلوب التهكمي تزيد من تداولية الخطاب السياسي وتضاعف قوته التأثيرية:

تبرز مهارة الارتجال كسمة بارزة في شخصية " أبي عبيدة" حيث نلاحظ انسياب الكلمات منه دون عناء أو تخطيط، ودون دون وجود لنص مكتوب أو سيناريو معد مسبقا، ودون أي ارتباك أو نسيان أو إطناب.

وفي خضم مهارة الارتجال التي تسم بها هذا القائد نلاحظ كذلك مهارته في توظيف الأسلوب التهكمي الرفيع باختصار ودون مبالغة في عبارة أو عبارتين فقط، فعلى سبيل المثال نجد عبارة "**لا سمح الله**"، التي رددها أبو عبيدة في أحد خطابته، فنحن نستخدم هذه العبارة ونسمعها بشكل يومي كدعاء لله بمنع حدوث أمر مكروه، لكنها في خطاب أبي عبيدة وردت في سياق مختلف منحها معاني متعددة ، من بينها التهكم والسخرية من المواقف المخزية للأنظمة العربية تجاه ما يحدث في غزة والتي وصل بها الذل والهوان إلى عدم القدرة على إدخال الماء والطعام والدواء لنساء وأطفال غزة، وكذا السخرية من جامعة الدول العربية التي لم تحرك ساكنا، حيث قال: "**إلى زعماء وحكام أمتنا العربية، نقول لكم من قبل المعركة التي تشاهدون تفاصيلها عبر شاشاتكم...إننا لا نطالبكم بالتحرك لتدافعوا عن أطفال العروبة والإسلام في غزة من خلال تحريك جيوشكم ودباباتكم، لا سمح الله**...".

ولقد لاحظنا تداول الجماهير العربية لهذه العبارة بشكل واسع جدا، عبر مختلف الفضاءات التفاعلية فتحوّلت، إلى واحدة من بين الوسوم الأوسع انتشاراً والأكثر تداولاً في العالم العربي لعدة أيام، بعدما تداولوها ووظفوها في العديد من المواقف الساخرة على غرار السخرية من الانظمة العربية التي وقفت عاجزة تتفرج على ما نكبة الشعب الفلسطيني، ولم تتمكن حتى من إدخال الطعام والدواء للشعب الفلسطيني، ومن تجليات تداولية هذه العبارة التهكمية ما قلم به رسام الكاريكاتير علاء اللقطة مع العبارة، بوضعها داخل شعار جامعة الدول العربي (كما هو مبين في الصورة المقابلة)،



وما كتبه المغرد حسام زين الدين على شبكة «إكس»: «**سيسجل التاريخ هذه الكلمة في وجه جامعة الدول العربية مجتمعة، وسيكتب التاريخ أن غزة وحدها دافعت عن شرف العروبة**" (القدس العربي ، 2023).

ويتم التداول الكبير لعبارة "لا سمح الله" في كل من الفضاءين الواقعي والافتراضي عن القوة التأثيرية التي قد يحدثها استخدام الصور البيانية في اللغة الخطابية، على الجماهير، فلو افترضنا أن أبا عبيدة عبر عن هذا الموقف التهكمي الساخر، بلغة مباشرة بكل تأكيد لن يكون أثرها وتداولها بهذا القدر، لكن مهارته الخطابية مكنته من استخدام الأدب التهكمي الذي يعد من أساليب سيطرة اللغة الخطابية الأدبية والإعلامية والسياسية.

كما يبرز الأسلوب التهكمي في سخرية " أبي عبيدة" من النبوءات الصهيونية ذات الأبعاد الأيديولوجية والدينية، في العديد من خطاباته، ومن اسطورة الجيش الذي لا يقهر ودبابة الميركافا التي لا تُدمّر في قوله: "... إن زمن أسطورة الجيش الذي لا يقهر قد ولّى وإن المعركة الحالية ستكون فاصلة في تاريخ الأمة...أن زمن بيع الوهم للعالم حول أكذوبة الجيش الذي لا يقهر والميركافا الخارقة والاستخبارات المتفوقة، كل هذا انتهى زمنه وقد كسرناه وحطمناه أمام العالم في غلاف غزة وفي كل فلسطين..."

5.6. براعة الاستهلال وتكرار العبارات القوية تسهم في تنشيط أنواع الاستماع لدى المتلقي (بوبس، 2023)، **السيطرة الجمالية مقابل الخضوع الطوعي:**

تعتبر براعة افتتاح الخطاب وجاذبية المقدمة من الاستراتيجيات الناجعة التي اعتمدها أبو عبيدة وانتهجها في مستهل كل خطاب يلقيه، إذ يفتتح خطاباته على ما جرت به سنن الأولين من الخطباء المسلمين: "الحمد لله رب العالمين حمد المجاهدين الصابرين الثابتين المنتصرين، والصلاة

والسلام على نبينا المجاهد الشهيد وعلى آله وصحبه ومن جاهد جهاده"، ثم ما يلبث أن يستعين بآيات من الذكر الحكيم في سياق الجهاد للتذكير بجزاء المجاهدين والمرابطين والصابرين سبيل الله، ليوجه بعدها كلامه إلى أبناء فلسطين المجاهدين الصابرين الأغرة الميامين، وأبناء الأمة الإسلامية أجمعين، وكل إنسان حر شريف على وجه المعمورة، باستخدامه (يا) أداة لنداء القريب والبعيد، وتوصيفه لكلٍّ المعنيّين بالخطاب، وهو ما يهيئ المتلقي للاستماع و يجعل الجوارح كلّها في أهبة لالتقاط الأفكار وفهمها وإدراكها، قائلا : "**يا أبناء شعبنا المجاهد المرابط الأبيّ العظيم، يا مجاهدينا في ثغور العزّة، ومواقع البأس والكبرياء، يا مقاتلي أُمّتنا ويا مجاهديها وجماهيرها الممتدّة، يا أحرار العالم الرّافضين للظلّم والطّغيان السّلام عليكم**.."، وما يلحظ في خطابات أبي عبيدة أنّه يحرص على التنويع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، فحضور أساليب الإنشاء بأشكالها المتعددة من النداء إلى الاستفهام والتعجب وغير ذلك، في الحديث والخطاب له أثر بالغ في شدّ الانتباه المتلقين واستنفار جوارحهم وتوكيد تفاعلهم مع ما يُلقى عليهم من أخبار ومعلومات (بوبس، 2023).

وقد اتفقت النخب والجماهير بكافة أطيافها على البراعة الخطابية والروح الجمالية العالية التي تتسم بها اللغة الخطابية لأبي عبيدة، كذلك طلاقة لسانه وفصاحة وبلاغة كلامه، وكيف أن اللغة العربية بجمالياتها تنساب بشكل سليم وصحيح على لسانه، وتلقي بأثرها البليغ السريع في أذن المستمع والمتلقي.

ولأن كلام المرء هو معيارٌ لتقييمه وفهم شخصيته، فاللّسانُ أشبه بالقلم الذي يرسم صورة المتحدّث في أذهان المتلقين السامعين، وقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: "أظلّ أهابُ الرّجل حتى يتكلّم فإن تكلّم سقطَ من عيني أو رفعَ نفسَه عندي" (بوبس 2023).

أما التكرار فتكمن أهميته إلى جانب تأكيد المعنى في كونه آلية لغوية للحجاج، فهو هو من عوامل التثبيت والإيضاح ومن استراتيجيات الإقناع وإقامة الحجة، وقد اعتمد أبو عبيدة في خطاباته على هذه الاستراتيجية كثيرا ولا سيما في مقدمة وخاتمة خطاباته، إذ لا ينفك يردد كثيرا من العبارات القوية ذات البعد الديني والتاريخي والتي غدت فيما بعد أكثر تداولا بين الجماهير والنخب في فضاءاتها التعبيرية على غرار عبارة "..والصلاة والسلام على نبينا المجاهد الشهيد..." الاستهلالية وعبارة " يا جماهير شعبنا المرابط الصابر الأبي...أيها الصامدون في وجه عدو الله وعدوكم" وعبارة "...وإنه لجهاد نصر أو استشهاد" الختامية.

6-6- توظيف البعدين الديني العقائدي والتاريخي يزيد من قوة التأثير والإقناع وينقل الخوف للطرف الآخر..."وإنّه لجهاد نصر أو استشهاد"..."لعنة العقد الثامن"

كما أشرنا سابقا لا يمكن بأي حال من الأحوال تحرير الخطاب واللغة من الأيديولوجيا والسياقات، لأن ذلك سيخلصه من الأهداف والغايات والوظائف التي يقوم بها وعليها، وإذا ما

سلمنا أن القضية الفلسطينية لا يمكن إخراجها بأي حال من الأحوال من بعدها الديني العقائدي، فإن كل خطاب يدافع عن هذه القضية وعن مقدسات الشعب الفلسطيني، فلن يكون البعد الديني بمنأى عن جزئيات وكليات هذا الخطاب، لأن هذا الأخير هو المنطلق الاول لفهم الصراع التاريخي الجاري فوق هذه الأرض.

وهذا البعد معلن اليوم بشكل صريح من قبل طرفي الصراع (المقاومة الفلسطينية وإسرائيل)، فالمقاومة الفلسطينية بدءا من تسميتها (حركة المقاومة الإسلامية، حركة الجهاد الإسلامي، سرايا القدس، كتائب الشهيد عز الدين القسام..) وشعاراتها الدينية، تتبني الجهاد بالسلاح في سبيل الله، للدفاع عن المقدسات الإسلامية(الهوية الإسلامية، الأرض الإسلامية، المسجد الأقصى...)، ضد إسرائيل التي تتبنى الأيديولوجيا الصهيونية والعقلية الكولونيالية التي تسعى لتحقيق نبوءات دينية تاريخية مزعومة على أرض فلسطين وبعض الأراضي العربية (هيكل سليمان، أرض الميعاد، المسيح المخلص..)، والتي لن تتحقق إلا بتنفيذ مشاريع ظاهرها عسكري سياسي (التقتيل والتجويع الحصار بحجة الدفاع عن أمن إسرائيل، معاهدة السلام مقابل الأرض، صفقات التطبيع وصفقة القرن، مخططات الترحيل القصري للفلسطينيين إلى صحاري سيناء والنقب، توسعة الاستيطان...).

ولأن المقاومة الفلسطينية تعلن للعالم أن كفاحها ضد الاحتلال، هو جهاد ديني إسلامي تام الأركان، فقد شكل هذا البعد محورا مركزيا في خطابات قادة المقاومة الإسلامية، وعاملا من عوامل قوة تأثير هذه الخطابات، التي لا يجد الرأي العام العربي والإسلامي أدنى جهد في تصديقها وتبنيها لما تحتويه من عبارات ثورية تحررية قوية تبعث على الحماس واستحضار التضحيات والبطولات التي خاضها الرعيل الأول من المجاهدين في سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

ويتجلى البعد الديني في خطابات أبي عبيدة بدءا من كنيته، التي تستحضر في الأدهان صورة القائد المسلم الشجاع، فاتح الديار الشامية، الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح، هذا ولم يخلوا أي خطاب يلقيه أبو عبيدة، سواء قبل أو بعد عملية طوفان الأقصى، من البعد الديني والأيديولوجي، وفي الخطاب الواحد نجد العبارات ذات البعد الديني تتكرر في افتتاحيته وفي متنه وكذلك في خاتمته، كما لا يفوت أبا عبيدة أي فرصة للاستشهاد بآيات الجهاد والنصر والشهادة والقتال والنفير...وترديد بعض العبارات والشعارات الحماسية التي باتت فيما بعد أكثر تداولا في الفضاءات التفاعلية الواقعية والافتراضي مثل: **"وإنه لجهاد نصر أو استشهاد"**، وكذلك العبارة الشهيرة التي وجهها لنتنياهو في أحد خطاباته: **"أتخوفنا بما نتمنى يا بن اليهودية !"** ، فكلا العبارتين تبرزان مدى قوة إيمان وثقة المقاتل المسلم بربه، والتي تجعله لا يأبه بالموت أو الحياة مادام يدرك أنه يقاتل في سبيل الحق، ويقبل على الشهادة أكثر مما يقبل على الحياة.

وتتخلل الكثير من خطاباته وضمن البعد الديني استمالات التخويف والترهيب كما في قوله: " **إن زمن انكسار الصهيونية قد حل ولعنة العقد الثامن ستحل عليهم وليرجعوا إلى توراتهم وتلمودهم ليقرؤو ذلك جيدا ولينتظروا أوان ذلهم بفارغ الصبر...**".

وبذكره عهد **انكسار الصهيونية ولعنة العقد الثامن** المتعلقة بزوال دولة إسرائيل يكون أبو عبيدة قد وضع يده على واحدة من أكبر المخاوف التاريخية للشعب اليهودي، والتي تتحدث عن زوال دولة إسرائيل قبل حلول الذكرى الـ (80) لتأسيسها، بناء على بعض معطيات التاريخ اليهودي الذي يفيد بأنه لم تعمّر لليهود دولة أكثر من (80) سنة إلا في فترتين استثنائيتين، فترة الملك داود وفترة الحشمونائيم، وقد تطرق رئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك إلى هذه المخاوف وفي مقال له، نشره العام الماضي(2023) بصحيفة "يديعوت أحرونوت، يقول فيه:"...على مرّ التاريخ اليهودي لم تعمر لليهود دولة أكثر من 80 سنة إلا في فترتين، وكلتا الفترتين كانت بداية تفككها في العقد الثامن... إن تجربة الدولة العبرية الصهيونية الحالية هي التجربة الثالثة وهي الآن في عقدها الثامن، ونخشى بجد أن تنزل بها لعنة العقد الثامن كما نزلت بسابقتها" (معروف ، 2023)

يكفي إلمام الطرف المقاوم بمثل هذه المخاوف الكامنة في نفسية العدو، وتداولها في الخطابات، لتكون سلاحا فعالا في كسب الحرب النفسية، فقد استطاع أبو عبيدة براعته الخطابية إعادة تدوير هذه المخاوف وصياغتها بطريقة كفيلة بنقل الرعب والخوف إلى الطرف الآخر، ولاسيما إذا كان هذا الطرف يبني مشاريع وجوده واستمراره على النبوءات العقائدية والتاريخية، وبشكل أخطر إذا كانت هذه النبوءات تتحدث عن حتمية الانهزام والزوال.

7- خاتمة

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى أن الخطاب السياسي الجماهيري للمقاومة الفلسطينية تطور كثيرا مع تطور المتغيرات الميدانية، وبدأ يتحول بشكل ملموس من لغة المقاومة والدفاع إلى خطاب السيطرة والتحكم، معتمدا على تقوية سلاح اللغة اللفظية والرمزية.

لقد مكن هذا التطور الملحوظ من فتح جبهات حربية أخرى على إسرائيل، يقودها حاليا الملثم أبو عبيدة برمزية اسمه ولباسه وبلاغته اللغوية وفصاحته السياسية، وإلمامه بالأبعاد الدينية والتاريخية وحسن توظيفها في الظروف الزمكانية المناسبة، وقدرته على توظيف استمالات التخويف وبراعة الارتجال والتهكم والاستهلال.

بمعنى آخر لقد عمد قادة المقاومة الفلسطينية وفي عدم تكافؤ السلاح والعتاد الحربي في ميدان المواجهة مع الطرف الآخر، إلى اعتماد ترسانة اللغة الخطابية اللفظية والرمزية بكافة أبعادها وسياقتها لتطويق الدعاية الإعلامية والسياسية الإسرائيلية، والتأثير في نفسية الجماهير والنخب العربية والعالمية.

إن التناول الإعلامي المكثف والتداول الجماهيري والنخبوي المتصاعد لخطابات أبي عبيدة والمشاهدات والتفاعلات المليونية التي يحظى بها في مواقع التواصل الاجتماعي من أبرز المبررات التي دفعتنا للقول أن اللغة السياسية لخطاب المقاومة الفلسطينية قد تحولت فعلا وبشكل ملحوظ من خطاب الكفاح والمقاومة إلى خطاب السيطرة والتحكم بدءا من تأثيراتها الواضحة في الجماهير والنخب العربية.

8. قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

-الجعافرة ,ع .ا .(2013) .*التربية والتعليم بين الماضي والحاضر* .عمان الاردن :مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

-القدس العربي . (11 نوفمبر، 2023). *"لا سمح الله"... تُهيمن على شبكات التواصل العربية وتُكثف السخرية من جيوش العرب*. تاريخ الاسترداد 08 02، 2024، من https://www.alquds.co.uk/

-إيناس محروس بوبس. (06 12، 2023). *حين يسهم الملثم في تحبيب اللغة العربية إلى الناس وإبراز جمالها*. تاريخ الاسترداد 08 02، 2024، من https://www.aljazeera.net/blogs/2023/12/6/

-بثينة حمدي . (جوان، 2022). تحليل الخطاب وممارسات المستخدمين عبر الفضاء الافتراضي نحو محاولة وضع أطر تحليلية جديدة لدراسة الاتصالات الرقمية. *حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 16* (01)، الصفحات 245-263.

-بسام عبد الرحمان مشاقبة . (2014). *مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب*. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

-جلال الدين المحلي ، و جلال الدين السيوطي . (2010). *تفسير الجلالين*. الدقهلية ، مصر: مكتبة الإيمان-المنصورة .

-بدانية. (2012). *التوثيق العلمي دليل النشر العلمي*. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

-راضية بوبكري . (جوان، 2013). الخطاب السياسي: أصوله النظرية والمنهجية وأبعاده الإنسانية. *مجلة التواصل الأدبي*(04)، الصفحات 167-189.

-رنيا سنجق . (07 سبتمبر، 2021). *تعريف الخطاب* . تاريخ الاسترداد 17 سبتمبر ، 2024، من /mawdoo3.com: https://mawdoo3.com

-رولان بارث . (1993). *درس السيميولوجيا*. (عبد السلام بن عبد العالي ، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

-زياد الزعبي . (2013). مصطلح الخطاب وتجلياته في الدراسات الحديثة. *محاضرات* (صفحة 95). الاردن: جامعة اليرموك.

-عبد الرزاق علا. (جوان، 2021). البلاغة الجديدة: حجاج بلاغي أم خطاب إقناعي. *مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، 04*(02)، الصفحات 299-307.

-عبد الله معروف . (19 نوفمبر، 2023). *لعنة العقد الثامن والنبوءات.. هل نحن على مشارف زوال إسرائيل؟* تاريخ الاسترداد 06 02، 2024، من الجزيرة.نت: https://www.aljazeera.net/opinions/2023/11/19/

-علي الزبيدي . (19 ماي ، 2017). *استغباء الجماهير.. سلطة الخطاب السياسي*. تاريخ الاسترداد 15 02، 2024، من https://www.aljazeera.net/blogs/2017/5/19/

-عماد عبد اللطيف. (2020). *تحليل الخطاب السياسي :البلاغة، السلطة والمقاومة*. الأردن : دار كنوز المعرفة العلمية.

-عماد عبد اللطيف . (18 نوفمبر ، 2022). *بلاغة الجمهور .. قصة النشأة*. تاريخ الاسترداد 04 02، 2024، من موقع الدكتور عماد عبداللطيف : https://emadabdullatif.com/eloquence-page-arabic

-فتيحة بن عياد . (15 09، 2020). الأفعال الإنجازية غير المباشرة المجازية - خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا. *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، 12*(02)، الصفحات 825-837.

-فؤاد إفرام البستاني . (1986). *منجد الطلاب* (المجلد ط45). بيروت: دار المشرق.

محمد القاسمي . (10 06، 2018). البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب. *مجلة تمثلات، 02*(02)، الصفحات 99-112.

محمد محمد حسن شراب . (1997). *أبو عبيدة عامر بن الجراح: أمين الأمة وفاتح الديار الشامية* (المجلد ط01). دمشق: دار القلم.

-مريم بوقرة ، و صورية جغبوب . (ديسمبر، 2017). الخطاب: مفهومه، أنماطه، وظيفته...من وجهة نظر الوظيفية - أحمد المتوكل أنموذجا-. *مجلة نتريخ العلوم*(10)، الصفحات 156-168.

-ميشال فوكو . (2006). *همّ الحقيقة*. الجزائر العاصمة: منشورات الإختلاف.

وليد عبد الحي . (2013). لغة الخطاب السياسي: المشكلة والحل. *محاضرات جامعة اليرموك*، 06. إربد ، الأردن .

ثايا المراجع باللغة الاجنبية

Wedl, J. (2007, 2007). L'analyse de discours « à la Foucault » en Allemagne : trois approches et leurs apports pour la sociologie. *Langage et société*(120), pp. 35-53.

Association, A. P. (2011). *APA Style*. Récupéré sur http://www.apastyle.org.

LAROUSSE. (2008). *Dictionnaire de Français.* Paris, Alger, Algerie: Maury à Malesherbes.

−Lord, I. (2011). *Gestionnaires inspirants : les 10 règles de communication des leaders.* Montréal, Québec: Éditions Logiques.

Merkling, J. e. (2010). *Psychologie, sociologie, anthropologie*. Récupéré sur http://www.granddictionnaire.com/btml/fra/r_motclef/index1024_1.asp